الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ: ١٠ يونيو ١٩٩٢

النظام العالمى بين القديم والجديد

المجموعة الأوروبية واليابان .. واحتمالات منافسة القطب الأمريكى

د . ابراهيم دسوقى أباظة

هل هناك نظام عالمى جديد انفسحت ملامحه وبدت هويته ، ام نحن امام مرحلة انتقالية تلوحت فيها اركان النظام العالمى القديم وارتسمت بعض ملامح نظام عالمى جديد ما زال فى طور الاكتمال ؟ ثم ما هى المتغيرات الكبرى التى ادت الى هذا التحول الهام ، وما موقع العالم العربى منه ؟ هذه الدراسة الموجزة محاولة للاجابة على هذه التساؤلات التى تتردد كثيرا فى المحافل الدولية

العالم العربى فقد أهميته النسبية بعد التحولات الجديدة فى النظام العالمى

لا شك ان التحول المفاجىء والمتسارع فى دول اوروبا الشرقية .. وفى الاتحاد السوفييتى نفسه قد وجد ترحيبا وتشجيعا من الولايات المتحدة .. ومن العالم الغربى كله .. الا ان هذا التشجيع والترحيب كان مشوبا ببعض الحذر والترقب من جانب الولايات المتحدة .. وقد برزت نتائجه على العلاقات الامريكية السوفيتية فى العديد من نقاط الوفاق ثم الاتفاق تحددت فى النقاط الاساسية التالية :

١ ـ الوفاق والاتفاق من حيث المبدا على توحيد المانيا رغم كافة الصعاب والمخاطر التى تحيط بهذه الفكرة .

٢ ـ الاتفاق والوفاق على مساندة دول اوروبا الشرقية على النهوض من عثرتها الاقتصادية . وذلك بفتح ابواب المساعدات والقروض من الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية .

٣ ـ الاتفاق والوفاق على وقف الحروب المحلية فى دول العالم الثالث كحرب العراق وايران وحرب

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

افغانستان وحرب دول امريكا اللاتينية

٤ ـ الاتفاق والوفاق على حماية اسرائيل ودعمها بالمال من الجانب الامريكي وبالرجال (المهاجرين السوفييت) من جانب الاتحاد السوفييتي

واوضح ان هذا الاتفاق ينطوي على فائدة مالية هائلة للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي معا فقد وفرت الدولتان مئات المليارات من نفقات التسلح التي انهكت ميزانيات الدولتين .. الا ان هذه الوفورات سوف توجه على الاقل من جانب الولايات المتحدة واوروبا الغربية الى اعانة دول اوروبا الشرقية التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من استراتيجية اوروبا الموحدة والتي لا يمكن فصلها عن قضية الامن الاوروبي

لقد الفت هذه العاصفة الهائلة من التحول المتوالي المنظم ظلالها بشدة على عالمنا الثالث .. وبالذات على هذه البقعة الحساسة من الشرق الاوسط التي تعرف بالعالم العربي ذلك ان دوافع التقليد والمحاكاة تجري بين الشعوب حتى في الانتفاضات والثورات وان اختلفت الطبيعة وتغايرت الظروف .. فقد كان النظر الى احداث اوروبا الشرقية انها تحرير للانسان المستبعد واطلاق فكرة وارادته من قيود المذهبية الجامدة ولا شك ان هذه المذهبية وبالذات الماركسية بتوابعها وذيولها قد وجدت اكبر صدى في العالم الثالث والعالم العربي بوجه خاص بل ان نماذجها الاقتصادية ونظمها السياسية وممارساتها القمعية قد نقلت نقلا الى العديد من بلدان العالم العربي وطبقت في الخنير من الاحيان بعنف وشراسة على واقعنا .. وكانت مصر في السنينات اكبر مسرح لهذه النقل والتقليد فالنظام الاقتصادي المصري منقول بقطاعه العام ومركزيته المفرطة وتخطيطه الشامل عن النموذج الاقتصادي البوجوسلافي والسوفييتي ..

اما النظام السياسي فهو انعكاس طبيعي ولازمة ضرورية للنظام الاقتصادي فقد ركز بين ايدي المحاكم كل السلطات سلطة القهر وسلطة التحكم في الارزاق وكانت النتيجة اسوا مما وقع في دول اوروبا الشرقية . فقد تفشى الفساد وانهارت الادارة .. وتوقفت التنمية واثرت الطبقة الحاكمة .. وانتهت الوعود التي نادى بها الحكام الى تخلف وفقر وديون تهدد الشعوب العربية على امتداد المستقبل .

الملامح الرئيسية لنظام عالمي جديد :

لقد كانت محصلة كل هذه الانقلابات والتطورات تداعي اركان النظام العالمي القديم الذي كان يقوم على توازن القوى الكبرى .. في اطار من الردع النووي والحرب الباردة .. وبذلك ارتفعت الحدود التي كانت تفصل مناطق النفوذ بين المعسكرين وانفردت الولايات المتحدة وحلفاؤها بحرية الحركة السياسية والعسكرية في كل ارجاء العالم .

وجاء غزو الكويت وما اعقبه من صراع ليقدم النموذج العلمي على هذا التحول فلم تعد الولايات المتحدة تتدخل منفردة لحماية مصالحها ولم تعد الامم المتحدة تلعب الدور السلبي في الازمات الدولية .. ولم تعد الدول العربية بدورها تتحرج من تحديد مواقفها مع اوضاع الولايات المتحدة . لقد تلاشى الخوف من عواقب المواجهة النووية .. وتحرر الغرب كله من عقدة الحرب الباردة وما يستتبعها من اعباء ومخاطر .. ويمكن تلخيص السمات البارزة لهذا التحول في النقاط التالية

١ ـ وضع مبدأ احترام الشرعية الدولية موضع التنفيذ .. وهو المبدأ الذي لم تحترمه يوما لا الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفييتي على الاقل في علاقاتهما بالدول المستقلة التي تدخل في نطاق نفوذهما المباشر . فقد اصرت الولايات المتحدة وحلفاءها هذه المرة على ضرورة استصدار قرار من مجلس الامن يدين ويفرض عقوبات على المعتدي ويبيح للولايات المتحدة وحلفائها التدخل المسلح لطرد العراق من الكويت .

٢ ـ اشراك الدول الصناعية الكبرى في الجهود الرامية الى تحرير الكويت وخلق الاستقرار في منطقة الخليج . وقد كانت جهود فرنسا وانجلترا مباشرة في هذه الحرب بينما تركزت جهود المانيا واليابان في المعونات والدعم المالي للدول المتدخلة عسكريا وقد كانت هذه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

المشاركة عاملا هاما فى نجاح التدخل تحت مظلة الامم المتحدة كما كانت حافزا على تشجيع بعض دول المنطقة على اتخاذ موقف واضح من الازمة .

٣ - وقوف بعض الدول العربية المؤثرة الى جانب الرعية الدولية والتزامها بقرارات مجلس الامن (كمصر وسوريا والمملكة العربية السعودية ودول الامارات العربية) واشتراكها عسكريا فى تحرير الكويت .. بينما التزمت دول عربية اخرى بالحصار الذى فرضه مجلس الامن حتى ولو كان هذا الالتزام ظاهريا .

وهكذا اتسمت ملامح تعاون دولى لاحتواء الازمة وانهائها .. وان كان هذا التعاون بزعامة الولايات المتحدة وتخطيطها .. وكانت المصلحة الامريكية هى اولى المصالح التى تحرك هذا التعاون .

غير ان هذه الملامح التى رسمت بعضها حرب الخليج لا تشكل الصورة النهائية للنظام العالمى الجديد فهذا النظام مازال فى طور البناء فمنظمة الامم المتحدة التى تاسست عام ١٩٤٦ لم تعد بمواثيقها وانظمتها صالحة لمواجهة الانقلابات والتطورات التى اجتاحت العالم والتى ادت الى تفكك قوى كبرى وتجميع قوى صغرى .. وظهور تكتلات دولية جديدة لا تقل شانا عن القوى التى تفككت ان لم تفقها قوة ونفوذا .

فامامنا الكتلة الاوروبية التى تتدعم يوما بعد يوم خصوصا بعد توحيد الالمانيتين وعودة انجلترا الى الحظيرة الاوروبية باستبعاد تاتشر من رئاسة الحكومة الانجليزية ويبدو الاكتمال الوشيك للكتلة الاوروبية من خلال المؤشرات التالية

١ - انتهاء الدول الاوروبية الاثنتى عشرة من انجاز معظم المراحل الاخيرة للسوق الاوروبية المشتركة بحيث اصبحت السوق بكل مكوناتها الاقتصادية والمالية حقيقة واقعة .

٢ - تطوير وتنسيق السياسات الخارجية الاوروبية فى مواجهة العالم الثالث والولايات المتحدة استنادا الى المصالح الاوروبية المشتركة والنظرة المستقبلية المشتركة .

٣ - تعميق العلاقات الاقتصادية والسياسية مع دول العالم العربى ومصر بوجه خاص ويبدو ذلك من خلال العلاقات التجارية العربية الاوروبية . وسياسات الاستثمار والمعونات والقروض

ويرشح المستقبل القريب كتلة ثانية بعد الكتلة الاوروبية . وهى كتلة الشرق الاقصى التى تتزعمها اليابان اذ لا يمكن ان ترى اليابان مستقبلها فى عالم الكتل الكبيرة بغير التجمع مع جيرانها او بعضهم وخاصة النمور الخمسة (هونج كونج - كوريا الجنوبية - سنغافورا - ماليزيا - تايوان) التى تحاول ان تجد لنفسها مكانا على خريطة العالم الصناعى ولا يمكن ان تغفل المخاض الكبير الذى يجرى فى العالم الاسلامى .. والذى يتمثل فى مد اسلامى صاعد يحمله لتطرف حينا والاعتدال احيانا على رسم صورة للمستقبل . ولا شك ان هذا المد هو الانجاز الطبيعى للنظم الشمولية التى حكمت معظم دول العالم الاسلامى والتى لم تتمكن الا فى النادر من علاج مشكلات الفقر والتخلف الذى تعانيه الشعوب الاسلامية . وقد بدت محاولات الالتحام بين بؤر هذا المد فى ايران والجزائر والسودان ومصر وغيرها بشكل ملحوظ خلال الاعوام القليلة الماضية وجاء انفجار الكتلة الشيوعية وتفتت جمهورياته الاسلامية ليعطى هذا المد بعدا جديدا فى اتجاه اسيا .. واوروبا الشرقية ولا شك ان هذا المد يبحث عن منطلق للتكتل بعدما استشعر وحدة الظروف .. ووحدة المصير فى عالم لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة ولا للشعوب الفقيرة .

ويعتبر نصيب العالم العربى من هذا المد اوفر نصيبا .. وذلك ليس مردودا فقط لاسباب تاريخية .. ولكنه منسوب الى العديد من نظم الحكم الشمولية التى فشلت فى تحقيق اى تحسن ملموس فى مستوى معيشة المواطن رغم كل القهر والفساد الذى تمارسه .

ولا شك ان التطرف والعنف الذى يشاهد احيانا المد الاسلامى يستفيد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

اكبر استفادة من اخطاء هذه النظم الشمولية ويجد الارض الصالحة والمناخ الصالح لاستقطاب الجماهير العاجزة عن إكفاء حاجتها وتحقيق طموحها ..

وفى ضوء هذه الظروف يبدو ان نجاح النظم الشمولية العربية فى تطويق هذا المد الهائل محدود للغاية خاصة على المدى المتوسط حيث يضيع الامل فى بدائل ديمقراطية حقيقية تعيد للانسان العربى حقه فى الحرية والحياة الكريمة ..

ان العالم يتقدم نحو التجمع والتكتل وهذا امر مؤكد ومحتوم .. ولكن الى ان يكتمل هذا التحول وتستقر الصورة ستظل الاوضاع الدولية الراهنة مسخرة لخدمة الولايات المتحدة .. غير ان اوروبا الموحدة وقد بدات تدرك الاهمية المتزايدة لوجودها ودورها على صعيد العلاقات الدولية لا بد وان تعيد النظر جذريا فى روابطها القديمة وعلاقاتها الاقتصادية والسياسية بمنطقة الشرق الاوسط . فهذه الروابط التاريخية خصوصا بالدول العربية والتى نمت خلال الحقبة الاستعمارية قد تقوضت وان ظلت بقاياها عالقه بالسياسات الاوروبية العربية ولن تستطيع الولايات المتحدة - مع اعبائها الجديدة - بالقارة الامريكية ومشاكلها الداخلية لعب الدور المطلوب فى تعاون دولى مثمر بين الشمال والجنوب او بين الاغنياء والفقراء .. فالعالم العربى يتطلع الى الديمقراطية وبهفو الى التنمية والتقدم . وهذه الاعباء ترشح اوروبا القوية الموحدة للدور الرائد فى التعاون الدولى على امتداد المستقبل .. فالروابط التاريخية والموقع الجغرافى والاسواق الاستثمارية والاستهلاكية فى عالمنا العربى يمكن ان تشكل املا كبيرا فى الانطلاق والنهضة . ولكن هذه التوقعات المتفائلة لا يمكن ان تتحقق الا بشروط اساسية تفرض على العالم العربى تحولات عميقة داخلية تتناول هياكلها السياسية والاقتصادية .. فرغم ما بذل من جهود فى بعض الدول العربية فما زال التشرذم العربى يفرض وجوده على الساحة العربية .. رغم الجامعة العربية ورغم الوحدة العربية .

ومعنى كل ذلك هو ضرورة ميلاد توجه سياسى اقتصادى جديد يستهدف مصالح الاغلبية العريضة ويهيىء العالم العربى لدخول القرن الواحد والعشرين .. وهذا الدرس ينطبق تماما على مصر .. وسورية والعراق .. وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية .. وكل بلد عربى ساقته اقداره الى اعتناق المذهب الماركسى او تقليد نماذجه الاقتصادية والسياسية ..

خاتمة

نخلص من هذا التحليل الوجيز الى عدد من النتائج العامة التى ترسم صورة لاحتمالات المستقبل .

١ - ان التوجه الى السلام سوف يكون بديلا محتملا للحرب .. وان لغة التفاوض التى تلعب فيها الامم المتحدة الدور الرائد سوف تحل محل لغة الصراع المسلح .

٢ - ان التوجه الى اقتصاد السوق سوف يكون بديلا لاقتصاد الخطة وان مبادىء الحرية الاقتصادية سوف تعلو على مبادىء اقتصاد الدولة .

٣ - ان الولايات المتحدة ستظل الى حين القطب الأوحد المنفرد بقيادة العالم .. الى ان تظهر كتل جديدة تنازعها هذه القيادة والى جانب هذه النتائج العامة يمكن استخلاص عدد من النتائج الخاصة بمصر والعالم العربى وذلك فيما يلى

١ - ان العالم العربى ومصر بوجه خاص قد فقد اهميته النسبية فى صراع الدمالقة . ولم يعد يحظى بالاهتمامات الدولية التى تؤدى الى تسابق العملاقين الى استقطابه .

٢ - ان مصر ربما تظل المرحلة قادمة موضع اهتمام العالم الغربى والولايات المتحدة لاسباب استراتيجية تتعلق بمخزون البترول بدول الخليج واصرار الولايات المتحدة على حمايه هذا المخزون انطلاقا من موقع مصر فى العالم العربى .

٣ - ان تدفق المعونات والمساعدات على دول العالم العربى قد تنخفض او تنقطع عن بعض دول المنطقة بسبب الالتزامات المالية الجديدة التى رتبتها التحولات الجديدة على عاتق الولايات المتحدة واوروبا الغربية تجاه دول اوروبا الشرقية ودول الاتحاد السوفييتى السابق .

٤ - ان مصر لن تتاثر بسياسات المعونات والقروض الخارجية الا تكتيكيا وبالقدر الذى تستطيع به اصلاح هياكلها السياسية والاقتصادية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية